موقف الدولة العثمانية من محنة مسلمي الأندلس
١٥٤٤-١٥٨٧م

د. نسيبة عبدالعزيز الحاج علاوي
كلية الآداب/ جامعة الموصل

د.رابحة محمد خضير
كلية الآداب/ جامعة الموصل

الملخص

يتناول البحث موقف الدولة العثمانية من الأندلس ومحاولاتها المستمرة ليس لإنقاذ المسلمين هناك فحسب بل واسترداد الأندلس أيضاً، ويمكن القول أن موقف الدولة العثمانية من الأندلس كان على شقين، الأول: تمثل بالمساعدات التي قدمتها الدولة لانجاد المسلمين النازحين من الأندلس، فضلاً عن عمليات عسكرية ضد سفن الأسبان والبرتغاليين التي تتعرض للنازحين من الأندلس وصد هجماتهم عن السواحل الإسلامية في المغرب العربي وقد استمر هذا الأمر حتى تاريخ تعيين حسن بن خير الدين على ولاية الجزائر عام ١٤٥٥م، وقد تناول الباحثين هذا الأمر من خلال دراسات عديدة، لذا اقتصر البحث على المدة الممتدة من ١٥٤٤-١٥٨٧، والتي مثلت الشق الثاني من موقف الدولة العثمانية تجاه الأندلس، والمتمثل بالمحاولات المستمرة لتوحيد الجهة الإسلامية ضد الأسبان وضم المغرب فضلاً عن وضع المخططات الجادة لاستعادة الأندلس، وكان أهم تلك المحاولات التي حدثت في ولاية قلج علي على الجزائر، فقد شجعت ثورة مسلمي الأندلس واستنجادهم بالدولة العثمانية على القيام بعمل جاد لاسترداد الأندلس، وقد تناول البحث جهود حسن بن خير الدين ثم جهود صالح ريس وجهود قلج علي، وموقف الدولة السعدية من كل تلك المحاولات التي استمرت حتى وفاة قلج علي عام ١٥٨٧م.

تمهيد

محاولات الدولة العثمانية إنقاذ المسلمين الفارين من الأندلس حتى عام ١٥٤٤:

يعود تاريخ استنجاد مسلمي الأندلس بالدول الإسلامية قبل سقوط غرناطة عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م، فقد استنجد ملوك غرناطة بعد زيادة الهجمات الأسبانية عليهم بالسلطان المملوكي الأشرف برسباي (١٤٢١-١٤٣٧)، إلا أنه لم يتمكن من إنجادهم، إذ لم تكن لديه السفن الكافية لنقل الجند، فضلاً عن بعد المسافة [(١)]. فأشار عليهم أن يستعينوا بالسلطان العثماني مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١)، إلا أن الأندلسيين الحوا عليه فوافق على انجادهم، لكن النجدة وصلت متأخرة بعد أن سيطرت مملكتا قشتالة وأرغون على معظم المدن الأندلسية، وإزاء هذه الأخطار المحدقة بالأندلس حاولت القوى الإسلامية آنذاك والمتمثلة بالعثمانيين والمماليك أن تتحد بوجه تلك الأخطار فأنهوا خلافاتهما التي استمرت خلال السنوات (١٤٨٥-١٤٩١) [(٢)]، فعقد السلطان المملوكي قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦م) اتفاقية صلح مع السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) عام ١٤٩١م، اتفقا فيها على إنقاذ الأندلس [(٣)]. يقضي الاتفاق بأن ترسل الدولة العثمانية أسطولا إلى غرب البحر المتوسط لمنازلة الأسبان هناك بينما يبعث المماليك جيشاً برياً عبر المغرب العربي[(٤)].

كانت الدولة العثمانية قد أرسلت منذ عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م مساعدات للأسطول الذي يقوده كمال ريس [(٥)] الذي كان يقود حركة الجهاد في البحر المتوسط ضد الأسبان وانجاد مسلمي الأندلس [(٦)]، رغم المشاكل التي كان يعانيها

ومنها صراعه مع أخيه جم، وهي المرة الأولى التي تتواجد فيها قوة بحرية عثمانية في غرب المتوسط، قام كمال ريس بشن غارات على كل من صقلية وسردينيا وكورسيكا وجزر البليار، وتوغل في المياه الأسبانية وقصف الموانئ التابعة لمملكة أرغون واستولى على ميناء ملقا الذي كان الأسبان قد سيطروا عليه حديثاً، واستمر كمال ريس بعملياته العسكرية ضد الاسبان حتى وفاته عام ١٥١١م أثر عودته من إحدى حملاته على اسبانيا إذ غرقت سفينته بالقرب من قاعدة غاليولي(٧).

أما المماليك فقد اكتفوا باتباع الطرق الدبلوماسية، فأرسلوا سفراءهم إلى البابا (اينوسنت الثامن Innocent VIII) (٨)، (١٤٨٤-١٤٩٢)، والى ملك نابلي والى أسبانيايطالبونهمبالكف عن الاعتداء على مسلمي الأندلس وإلا ستقوم مصر بالتعامل بالمثل مع رعايا الدولة من النصارى إلا أن ذلك لم يلق صدى ولاسيما أن الدولة المملوكية انشغلت بمشاكلها الداخلية عن هذا الأمر(٩).

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت فإن غرناطة سقطت بيد الاسبان عام ١٤٩٢م وبدأت عمليات التنكيل بالمسلمين والتنصير القسري لهم وسلبهم ممتلكاتهم وموربست بحقهم كل أنواع القهر والتعذيب والقمع والطرد وأجبر الكثير منهم على اعتناق النصرانية فضلاً عن مغادرة أعداد كبيرة منهم الأندلس طلباً للنجاة(١٠)، ولم يكتفوا بذلك بل لاحقوا المسلمين في عقر دارهم ولاسيما سواحل المغرب العربي، فظهرت على أثر ذلك حركة الجهاد البحري التي تزعمها الأخوان عروج (١١)، وخير الدين (١٢)، وكانت الدولة العثمانية تقدم لهما المساعدات قبل أن ينظوي خير الدين تحت لواء الدولة العثمانية بعد مقتل أخيه عروج عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م وبمساعدة العثمانيين استطاع أن يبسط نفوذه على غرب البحر المتوسط تمهيداً للمشروع المهم وهو الثأر للأندلس واستردادها من الأسبان(١٣)، وقد كلف السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) خير الدين بربروسا بهذه المهمة حينما استدعاه إلى استانبول فبعد أن سيطر على بلغراد عام ١٥٢١م عزم على استرداد الأندلس وعلى أثر ذلك التكليف قام خير الدين بتقوية الاستحكامات العسكرية في الجزائر وزاد من عدد القلاع مظهراً الطاعة للسلطان (١٤). وقام بحملات عديدة على السواحل الأسبانية فضلاً عن جهوده في تطهير سواحل المغرب العربي من الوجود الأسباني، وظل يقارع أعداء المسلمين من برتغاليين وأسبان حتى وفاته عام ١٥٤٧ (١٥).

بعد كل ما تقدم يمكن القول أن هذه المدة التي تحدثنا عنها مثلت موقف الدولة العثمانية في الوقت الذي كانت مشغولة فيه بمعارك على جبهات أخرى، لذا كانت عملياتها العسكرية فيما يتعلق بالأندلس مقتصرة على تقديم بعض المساعدات المتمثلة بإنقاذ الفارين من الأندلس فضلاً عن نشاط بحري واسع في غرب البحر المتوسط لصد هجوم الأسبان والبرتغاليين عن سواحل المغرب العربي ومحاولة إضعاف نفوذهم هناك وتثبيت السيطرة العثمانية على المغرب العربي تمهيداً لاستعادة الأندلس، أما العمليات الفعلية في هذا المجال فتبدأ مع ولاية حسن بن خير الدين على الجزائر عام ٩٥١هـ/١٥٤٤م.

المحاولات الجادة لاستعادة الأندلس:

أولاً: جهود حسن بن خير الدين:

تولى حسن بن خير الدين على الجزائر عام ٩٥١هـ/١٥٤٤م تقديراً من الدولة العثمانية للجهود التي بذلها والده، ثم شجاعته وثقافته الواسعة، فقد كان يتقن لغات عدة احداها الأسبانية، وكان أهل الجزائر يرغبون في تعيينه والياً عليهم. ومن هنا تبدأ الدولة العثمانية بالعمل الجاد على استعادة الأندلس بعد أن وطدت وجودها في غرب البحر المتوسط، فعمل حسن بن خير الدين بعد أن وطد الأمور في الجزائر ووحد الجيش على الاستعداد لمواجهة الاسبان، وأول عمل قام به هو إنهاء حكم الأسرة الزيانية في تلمسان إذ كان حاكمها أبو زيان (أحمد الثاني) قد دعا إلى تحالف مع الأسبان إلا أن حسن بن خير الدين دعم أحد أخوته وهو (الحسن) الذي اعترف بسلطة الدولة العثمانية، وبدأ يعمل على استعادة المدن الجزائرية التي لا زالت تحت نفوذ الاسبان كبجاية ووهران ثم التوجه نحو السواحل الأسبانية وتحقيق الهدف الأساس وهو استعادة الأندلس[١٦].

أدرك حسن بن خير الدين أهمية المغرب في تحقيق هدفه لذا سعى إلى توحيد الجبهة الإسلامية، فقام بالاتصال بالسعديين الذين وافقوا على توحيد الجهود ضد الأسبان، فأرسلت لهم الدولة العثمانية قوات عسكرية لدعمهم، قوامها (٢٠) ألف شخص من الجند العثماني والموريسكيين، فالتفوا حول الملك السعدي محمد الشيخ(١٥٣٩-١٥٥٧) وساندوه ودفعوه إلى بناء عدد من السفن الحربية لتحقيق المشروع الأهم وهو استعادة الأندلس، فرحب بذلك وصرف اجوراً ومكافئات لهؤلاء الجند، واستطاع بسبب هذه المساعدة منازلة خصومه الوطاسيين ودخل فاس وأنهى حكمهم مما جعل الأسبان يقومون بأخذ الاحتياطات الأمنية على جبل طارق وتحصين وتموين شواطئ الأندلس، وكان العثمانيون قد عرضوا على السعديين القيام بهذا العمل فوافقوا [١٧].

جهز حسن بن خير الدين قوة مؤلفة من (١٤٠٠٠) مقاتل وقوات من القبائل يقودها حسن قورصو- أحد قواد حسن بن خير الدين- وكان مخططاً لهذه القوات أن تتجه نحو مستغانم لتلتقي فيما بعد مع الجيش السعدي في (عين نتموشنت) ثم تتجه معاً لتخليص وهران من أيدي الأسبان[١٨]، إلا أن السعديين راودتهم المخاوف من تعاظم النفوذ العثماني في المنطقة فتقدموا باتجاه تلمسان وسيطروا عليها عام ٩٥٧هـ/١٥٥٠م وسيطروا على مستغانم حتى وصلو وادي الشلف، فأرسل حسن بن خير الدين قوة عسكرية بقيادة حسن قورصو لمواجهتهم فتمكن من إعادة السيطرة على تلمسان عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م[١٩].

انتهج حسن بن خير الدين سياسة معادية لكافة الدول الأجنبية بما فيها فرنسا التي كانت تربطها بالدولة العثمانية علاقات صداقة، غير أنه لم يلتزم بها وأظهر العداء لها، فأرسلت سفيرها في استانبول إلى الجزائر للوقوف على المدى الذي ستصل إليه سياسة العداء التي انتهجها حسن بن خير الدين ضد فرنسا، فأجتمع السفير به وعرض عليه تقديم المساعدة العسكرية لتنفيذ مشروع الدولة العثمانية في استرداد الأندلس، إلا أنه رفض هذا الأمر لعدم ثقته بفرنسا التي كانت لها مواقف سلبية من الدول العثمانية، وذكر للسفير الفرنسي "أن قضية الجهاد هي قضية خاصة بالمسلمين وإنه لا ينتصر بالكافر على الكافر"، وعندما عاد السفير الفرنسي إلى استانبول أثار الباب العالي ضده بقوله: " إن السلطة الواسعة المطلقة التي يمارسها حسن بن خير الدين ومحاولته توسيع نفوذه ستحطم وحدة الدولة العثمانية وتهدد كيانها بالانقسام"، وعلى أثر ذلك بادرت الدولة العثمانية باستدعاء حسن بن خير الدين إلى استانبول وعزله [٢٠]. ويذكر أن عزله جاء بسبب إساءته إلى علاقات حسن الجوار مع المغرب، وهو ما جاء في الرسالة التي بعثها السلطان سليمان القانوني إلى حاكم فاس محمد الشيخ السعدي ٩٥٩هـ/١٥٥٢م والتي جاء فيها: "... ولما بلغ سمعنا الشريف

أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقاً حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه ومال إلى جانب العنف والاعتساف ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق والائتلاف وسد باب الاتحاد مع المجاهدين حماة الدين، لذلك بدلناهم غيره فأنعما بولاية الجزائر على... صالح باشا دام إقباله لفرط شهامته وشجاعته وكمال دينه..."[٢١]، يتضح من تلك الرسالة أن الدولة العثمانية أخذت تغير سياستها تجاه المغرب خشية أن يستغل الأسبان هذا الخلاف، ولاسيما أن هناك بوادر لتحالف السعديين مع الأسبان ضد الدولة العثمانية، فعزلت حسن بن خير الدين لإرضاء السعديين ولم يكن عزله بسبب وشاية السفير الفرنسي كما تذكر بعض المصادر.

ثانياً: جهود صالح ريس

بعد عزل حسن بن خير الدين عن بكلربكية الجزائر تم تقليدها إلى صالح ريس عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م. وهو من القادة الذين عملوا مع خير الدين بربروسا، فقد أرسل السلطان سليمان القانوني مرسوماً بهذا الخصوص إلى الجزائر [٢٢]، وكانت المهمة الأساسية التي كلف بها صالح ريس هي إعلان نفير الجهاد العام والسير براً وبحراً على رأس الجيوش الإسلامية إلى بلاد الأندلس، ومن أجل تحقيق هذا الأمر لزم عليه توطيد الاستقرار في الجزائر وتوحيد الجبهة الإسلامية وإبعاد الأسبان نهائياً عن الجزائر ثم ضم المغرب للدولة العثمانية ووضع حد للمشاكل التي تثيرها الدولة السعدية للعثمانيين [٢٣]. والتي عدت معوقاً للهدف الأساس وهو استعادة الأندلس، ومن أجل دعم صالح ريس لتحقيق تلك المهام أوعز السلطان سليمان القانوني إلى دار صناعة السفن في استانبول بإعداد عشر سفن عسكرية بكامل تجهيزاتها وشحنها بالسلاح والبارود وإرسالها إلى ولاية الجزائر [٢٤].

وفي إطار توحيد الجبهة الإسلامية عمل صالح ريس على ضم الإمارات الجزائرية في الجنوب الجزائري فقد كانت هناك امارتان مستقلتان تمردتا على الدولة العثمانية بعد أن كانتا جزءاً منها أيام خير الدين بربروسا، إلا أن انشغال العثمانيين بحوادث تلمسان والمغرب جعلت الإمارتان تعلنان استقلالهما عن إدارة الجزائر، وهاتين الإمارتين هما إمارة (توقرت) وتولى حكمها بني جلاب وإمارة وارجلان (ورقلة) يتولى أمرها شيوخ الأباضية[٢٥]، إحدى طوائف الخوارج ويمتد سلطانها إلى قرب وادي ميزاب غرباً والى المتيعة جنوباً، حاول صالح ريس إقناع الإمارتين بالانضمام إلى الدولة العثمانية، لكنه فشل، لذا جهز حملة لضمهم بالقوة، واستعان بصديقه عبدالعزيز أمير قلعة بني عباس الذي أمده بـ (٨) آلاف جندي [٢٦]. وقد تمكن من السيطرة على توقرت بعد معركة قصيرة وأعادها نهائياً إلى السلطة العثمانية، ثم توجه نحو (ورقلة) التي اجتمع شيوخها وأعلنوا رفضهم لقتال إخوانهم المسلمين وانضمامهم إلى الدولة العثمانية التي تـــــــــعهدت لهم باحترام مذهبهم وحرية ممارستهم له في كل أمورهم الحياتية [٢٧].

بعد ذلك وجه صالح ريس جهوده لضم المغرب، فقد أدرك العثمانيون أن المغرب قاعدة مهمة للانطلاق الى الأندلس، فضلاً عن توحيد الجبهة الإسلامية ضد الأسبان، واستفاد صالح ريس من الخلافات بين الوطاسيين والسعديين، فوقف مع أبي حسون الوطاسي[٢٨]، وحصلت صدامات عسكرية عديدة تمكنت على أثرها القوات العثمانية من دخول مدينة فاس بمعية أبي حسون ٩٦١هـ/١٥٥٤م الذي اتفق معه صالح ريس على الاعتراف بالسيادة العثمانية على فاس بمجرد جلوسه على العرش واستعداده لمساعدة صالح ريس في تجهيز جيش إسلامي لغزو أسبانيا واسترداد الأندلس [٢٩]. وبذلك أعلنت تبعيتها للدولة العثمانية وأصبح يخطب للسلطان العثماني على المنابر هناك.

في الوقت نفسه كان الأسطول العثماني في البحر المتوسط يقوم بشن الهجمات ضد الاسبان واستطاع خلال ذلك استعادة حجر بادس أو (صخر فاس) كما يسميها الأسبان، تولى عليها القائد البحري يحيى ريس، واتخذها العثمانيون فيما بعد قاعدة لشن هجماتهم على السواحل الأسبانية[٣٠]، ثم ضم تلمسان إلى ولاية الجزائر عام ٩٦٢هـ/١٥٥٤م وقضى نهائياً على الأسرة الزيانية فيها، ولاسيما أن سكانها اشتكوا إلى صالح ريس من حاكمها الحسن بن عبدالله وعلاقاته المريبة مع الأسبان[٣١]، وتمكن من استعادة بجاية من الأسبان رغم المقاومة العنيفة التي أبدتها الحامية الأسبانية هناك إلا أن قائدها أضطر أخيراً إلى الاستسلام، وفي غضون ذلك استغل محمد الشيخ السعدي انشغال صالح ريس في فتح بجايه ليشن حملة لاستعادة ملكه في فاس فشن هجوماً عنيفاً على خصمه أبي حسون الذي خرج لملاقاته فدارت معركة عنيفة قتل فيها أبي حسون مما سهل على محمد الشيخ السيطرة على فاس من جديد [٣٢]. وبذلك ضاعت على الدولة العثمانية الفرصة في ضم المغرب وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد القوى الصليبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما أن محمد الشيخ ومن أجل حماية وجوده في فاس سعى إلى الأستعانةبالأسبان للعمل معاً ضد العثمانيين وأعلن أثر دخوله إلى فاس أنه عازم على الذهاب إلى الجزائر لمنازلة العثمانيين هناك، وهذا التنافس السعدي العثماني على وجه التأكيد كان في صالح الأسبان والبرتغاليين، وما عبر عنه (الكونت الكوديت) حاكم وهران الذي أرسل رسالة إلى فليب ابن الإمبراطور شارل الخامس (١٥١٩-١٥٥٦) يعلمه باستعداد محمد الشيخ السعدي للتعاون معهم يقول فيها: "الصفقة ستجر خيراً عظيماً على جلالتكم وعلى المسيحية جميعاً..."[٣٣].

إزاء ذلك الوضع صمم صالح ريس على طرد الأسبان من وهران وأرسل إلى السلطان سليمان القانوني يعلمه بهذا الأمر ليتخذ الإجراءات اللازمة، فأرسل له السلطان أسطولا بحرياً مؤلفاً من (٤٠) سفينة و(٦٠٠) جندي عثماني للانضمام إلى القوة الجزائرية تحت قيادة صالح ريس التي تقدر بـ (٣٠) سفينة و(٤٠٠٠) جندي جزائري، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه صالح ريس لإصدار الأوامر للسير نحو وهران، توفي أثر إصابته بمرض الطاعون في عام ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، عن عمر يناهز السبعين عاماً [٣٤]. وبهذا لم يتمكن صالح ريس من تحقيق هدف الدولة العثمانية باستعادة الأندلس، فقد كان يرى أن إقصاء الوجود الأجنبي عن المغرب العربي ثم الوصول إلى أقرب نقطة للوصول إلى الأندلس، هي مرحلة أولى في مشروعه لاسترداد الأندلس، إلا أن الوجود السعدي وتحالفه مع الأسبان والبرتغاليين عوق هذا الأمر.

بعد موت صالح ريس حدثت مشاكل حول مسألة من يتولى منصب بكلربكية الجزائر فاستغل السعديون الأوضاع وهاجموا تلمسان واستولوا عليها وكانوا يعدونها نقطة مهمة للحفاظ على وجودهم في المغرب، في الوقت الذي عدها العثمانيون نقطة مهمة للحفاظ على الجزائر من جهة وقاعدة حصينة للانطلاق إلى المغرب الذي يعد أقرب نقطة إلى الأندلس ولتهديد الأسبان والبرتغاليين وضرب مواصلاتهم في البحر المتوسط [٣٥].

أمام هذه الأحداث حاولت الدولة العثمانية تغيير سياستها تجاه المغرب لكي لا يندفع في التحالف مع القوى المعادية للمسلمين (الأسبان والبرتغاليين)، فأرسل السلطان سليمان القانوني رسالة إلى محمد الشيخ السعدي يذكره فيها أن الدولة العثمانية تدعم جهودهم في محاربة الأسبان والبرتغاليين وذكره بالمساعدات التي قدمتها الدولة العثمانية للمغرب، ويعرض عليه التعاون ضد القوى الأجنبية إلا أن هذا الأمر قوبل بالرفض من السلطان السعدي محمد الشيخ ورد على مبعوث السلطان بقوله: "سلم على أمير القوارب سلطانك وقل له أن سلطان المغرب لابد أن ينازعك على محمل

مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله ويأتيك إلى مصر والسلام"(٣٦)، وهذا يدل على التقليل من شأن السلطان سليمان القانوني بوصفه (أمير القوارب) وتهديده بطرده من أفريقيا بما فيها مصر.

ثالثاً: عودة حسن بن خير الدين إلى بكلربكية الجزائر:

وجد السلطان سليمان القانوني أن من الضروري إعادة حسن بن خير الدين إلى بكلربكية الجزائر، فأستبشر أهلها بعودته وحال وصوله، بدأ بترتيب أوضاع الجزائر، ووضع أمامه هدفين أساسيين أولهما: تطهير المغرب العربي من الوجود الأجنبي والثاني: استرداد الأندلس (٣٧). كما استغل أوضاع الدولة السعدية في المغرب ولاسيما الثورات التي قامت بعد مقتل محمد الشيخ، فجهز حملة لاستعادة المغرب وجرت معركة بين الطرفين لم تسفر عن شيء فاضطر إلى سحب قواته بعد سماعه باستعداد الاسبان وتحركاتهم في وهران ليقطعوا عليه طريق العودة وهاجموا مستغانم إلا أنهم فشلوا وقتل حاكم وهران.وبعد هذا الانتصار على الأسبان دعا حسن بن خير الدين الأساطيل الإسلامية لتخريب سواحل أسبانيا وقطع طرق مواصلاتهم التجارية، فعم الخوف سكان الساحل الأسباني حتى أنهم لم يكونوا يزرعون أراضيهم الا بحذر وغالباً ما كان العثمانيون يحاصرونهم أثناء عملهم (٣٨).

بعد ذلك توجه حسن بن خير الدين من جديد إلى المغرب فأعد قوة من رجال القبائل ليوكل إليها أمر الجزائر لأنه كان لا يثق بالانكشارية الذين عاجلوه والقوا القبض عليه وأرسلوه إلى استانبول واتهموه بمحاولة الانفصال عن الدولة العثمانية، إلا أن السلطان العثماني أدرك أن هذا الأمر غير صحيح فأعاده إلى الجزائر عام ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، وحاول حسن بن خير الدين في ولايته الثالثة أن يطرد الأسبان من وهران إلا أنه فشل، وفي تلك الأثناء أرادت الدولة العثمانية فتح جزيرة مالطا، فأسندت قيادة الأسطول العثماني إليه، بينما تولى محمد بن صالح ريس بكلربكيةالجزائر، التي لم تطل ولايته فيها وتقرر تعيين قلج علي (٣٩) في ٩٧٦هـ/١٥٦٨م على الجزائر (٤٠).

رابعاً: جهود قلج علي لاستعادة الأندلس

عين السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤) قلج علي لكونه واحداً من القادة الذين برزت أسماءهم في العمليات الجهادية البحرية في المغرب العربي، فضلاً عن إظهاره شجاعة فائقة وعزيمة كبيرة في أحداث وهران ومستغانم مع حسن بن خير الدين (٤١).وكان على دراية تامة بأحوال الأيالة إذ سبق أن ولي على تسلمان وقاد المقاومة الإسلامية فيها ضد الأسبان وشغل فكره في إنقاذ المسلمين في الأندلس وتدعيم ثوراتهم ضد اضطهاد الأسبان(٤٢).

اتسمت سياسة قلج علي بالحزم في إدارة البلاد، فضلاً عن خبرته الواسعة في مجال العمل البحري، والتي استثمرها في تحقيق غايته المتمثلة في تحرير المغرب العربي من بقايا الأسبان ثم العمل على مشروع استعادة الأندلس، ولتحقيق هذه الغاية وجه اهتمامه إلى تجهيز أسطول قوي والذي أصبح مبعث قلق للأوربيين، فبدأ بتنظيم أمور الولاية الداخلية، ثم صمم على إعادة الحكم العثماني إلى تونس (٤٣). ولاسيما بعد تحالف السلطان الحفصي أبو العباس أحمد مع الاسبان، فجهز لذلك جيشاً قوياً مؤلفاً من سبعة آلاف مقاتل وتوجه إلى تونس، وفي أثناء ذلك وصله رسل مسلمي الأندلس يطلبون مساعدته في الثورة التي سيعلنونها في أسبانيافي محاولة منهم لإعادة الحكم الإسلامي إلى الأندلس، لكنه آثر أن يقوم أولاً بإنهاء الوجود الأسباني في تونس وتأمين الدفاع عن طرابلس والجزائر، إذ كان الأسبان قد اتخذوا من تونس نقطة ارتكاز وقاعدة انطلاق على العثمانيين في طرابلس والجزائر (٤٤).

تقدم قلج علي بجيشه نحو تونس وبعد قتال عنيف استطاع أن يهزم السلطان الحفصي أبا العباس احمد الذي التجأ إلى الأسبان في منطقة حلق الوادي [٤٥]، ودخل قلج علي تونس وأخذ البيعة للسلطان سليم الثاني ورتب حامية لحماية البلاد تحت رعاية أحد قواده خشية عودة الأسبان مرة أخرى بعد مغادرته، ثم توجه بعد ذلك إلى منطقة حلق الوادي لتطهيرها من الأسبان وقد أرسلت الدولة العثمانية المدد لهم لتطهير المنطقة، فكان لابد من تأمين ظهر القوات العثمانية ليتسنى لها التقدم للأندلس بعد أن أضعفت بسبب التواجد الأسباني في المغرب العربي [٤٦].

في الوقت الذي كان قلج علي منشغلاً في تطهير أجزاء المغرب العربي من الاحتلال الأسباني كان بقايا مسلمي الأندلس منشغلين بالاستعداد للثورة، ولاسيما أن الأوضاع في أسبانيا كانت مؤهلة لمثل هذا الأمر، فقد كانت أسبانيا تعاني من أوضاع اقتصادية وإدارية متردية جراء التدهور الداخلي في البلاد والحروب الخارجية التي أنهكتها، والتي قادت السلطات الأسبانية تحت حكم ملكها فليب الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨) إلى موجة من الظلم والعنف تجاه بقايا المسلمين إذ حرمت عليهم التحدث بالعربية أو الاتصال باخوانهم المسلمين في المغرب العربي عن طريق قواتها المنتشرة على السواحل، كما حرموا على النساء الخروج إلى الشوارع إلى متحجبات والزموهنَّ البيوت ومنعوهنَّ من إقامة مناسباتهم الدينية والاجتماعية علناً، فدفع ذلك مسلمي الأندلس أو ممن تظاهر بالنصرانية على الثورة ضد الأسبان[٤٧].

كان رسل مسلمي الأندلس قد وصلوا إلى السلطان الغالب بالله السعدي [٤٨] (١٥٥٧-١٥٧٤) قبل أن يرسلوا إلى قلج علي لتذكيره بالوعود التي كان قد قطعها على نفسه لتقديم العون والمساعدة من عتاد وسلاح ورجال وإغاثتهم في ثورتهم هذه باعتباره أكثر ملوك الإسلام قرباً منهم، إلا أنه خذلهم هذه المرة لارتباطه بعلاقات ودية مع فليب الثاني ملك أسبانيا، ولاسيما أنه انتهج سياسة مهادنةالأسبان والبرتغاليين لكي لا يعطيهم فرصة توسيع مراكزهم في المغرب من جهة ولمواجهة ما أسماه بالخطر العثماني من جهة أخرى [٤٩]. فأرسلوا رسلاً إلى الجزائر يحملون الهدايا ويعلمون قلج علي أنهم قد نظموا أنفسهم بنظام عسكري دقيق وطلبوا منه المساعدة والمدد لدعمهم الثورة التي بدأت عشية عيد الميلاد من عام ١٥٦٨م في منطقة الجبال التي كانت قاعدة انطلاقها حيث انتشرت في جبال البوهراس أو (البشرات) ثم أخذت بالانتقال إلى مناطق أخرى تحت قيادة الموريسكيفيرناندوديفالورfernando de valore والذي كان من أصول عربية [٥٠].

كان انشغال الحكومة الأسبانية بمشاكلها الداخلية والخارجية قد وفر الفرصة للمسلمين هناك للقيام بهذه الثورة، فأزداد عددهم ووصل في عام ٩٧٧هـ/١٥٦٩م إلى أكثر من (١٥٠) ألف وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم وبالثورة، إلا أن قلج علي استطاع أن يكون على اتصال مستمر مع قادة مسلمي الأندلس عن طريق بعض رجاله وتمكن من إمدادهم بالرجال والأسلحة والعتاد من الجزائر إلى مناطق متفق عليها على الساحل الأسباني وطلب من الثوار أن تكون ثورتهم عارمة، إذ وعد بمساعدتهم لإنهاء الوجود الأسباني في وهران، فقد أعد لذلك جيشاً قوامه (١٤) ألف رجلاً من رماة البنادق و(٦٠) ألفاً من المجاهدين العثمانيين مسلحين بالمدافع والعتاد الكثير، ومن وهران ينطلقون إلى بلاد الأندلس، وفي هذه الأثناء وصل الأسطول العثماني المؤلف من (٤٠) سفينة أمام مرسى المرية الأسباني، لكن الثورة كانت قد فشلت بسبب سوء تصرف أحد رجالها، إذ انكشف أمره لدى الأسبان فالقوا القبض عليه وأخذوا ما كان يخفيه من السلاح. ومع ذلك حاول قلج علي إنزال الجند العثماني والأسلحة في المكان المتفق عليه، إلا أن القوات الأسبانية صدته ومنعته من ذلك، فضلاً عن العواصف الشتوية التي نالت من (٣٢) سفينة تقريباً من

أسطوله المحمل بالرجال والسلاح [٥١]، وتمكنت ست سفن من إنزال شحنتها على سواحل الأندلس وكان فيها المدافع والبارود والمجاهدين، فضلاً عن أن الدولة العثمانية قررت أن تعاود الكرة في الربيع القادم، فاقترح القبطان (خوان ماطيو فلويز) وهو (مهندس أسباني) على فليب الثاني عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م سد مدخل بحر شيكا (المرسى الجديد) بعد سماعه عن استعدادات الدولة العثمانية لتمويل الأسطول العثماني بكل ما يلزمه حتى يستعد مع قدوم الربيع التالي لنجدة المسلمين في غرناطة، إلا أن الحكومة الأسبانية لم تأخذ بهذا الاقتراح ورأت أن ذلك لا يمنع العثمانيين من أن يفتحوه بدون صعوبة [٥٢].

استمر قلج علي في إمداد مسلمي الأندلس الذين استمروا بثورتهم حتى عام ١٥٧٠ على الرغم من الفشل الذي لحق بها، وتمكن قلج علي من إنزال (٤) آلاف مجاهد من رماة البنادق مع كمية من العتاد وبعض قادة العثمانيين للعمل في مركز قيادة جهاد مسلمي الأندلس، ثم صدرت الأوامر مرة أخرى إلى قلج علي في ١٣ شوال ٩٧٧هـ/٣١ آذار ١٥٧٠ بإرسال المساعدات إلى الأندلس، "... عليك بالتنفيذ بما جاء في هذا الحكم حال وصوله وإن تعاونوا أهل الإسلام المذكورين بكل ما يتيسر تقديمه لهم وإن الغفلة عن الكفار تصيب الدمار وهي غير جائزة..." [٥٣].

عزم قلج علي على الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد هناك، لكن صدرت الأوامر إليه بالاستعداد للمشاركة في معركة حاسمة ضد التحالف الأوربي الذي بدأ استعداداته لمحاربة الدولة العثمانية، وقد خسر الأسطول العثماني أمام التحالف الأوربي في ليبانتو[٥٤] سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م إلا أن قلج علي تمكن من إنقاذ حوالي (٤٠) سفينة من الأسطول العثماني وحصل أثر ذلك على لقب قيودان باشا قائداً للأسطول العثماني. أما ثورة مسلمي الأندلس فقد تمكنت أسبانيا من القضاء عليها نهائياً وبشكل مؤلم بعد أن أوكل أمرها إلى دون جوان النمساوي- الأبن غير الشرعي للإمبراطور شارل الخامس- الذي ارتكب أبشع الفضائع ضد مسلمي الأندلس ولم يسلم منه النساء والأطفال والشيوخ وأنتهى الأمر بإذعان كافة مسلمي الأندلس ومقتل قادة الثورة [٥٥].

شعرت الدولة العثمانية بالأسى لما كان يعانيه مسلمي الأندلس على يد الحكومة الأسبانية، فاقترح السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) في سنة ١٩٨٨هـ/١٥٨٠م عقد تحالف عسكري مع الدولة السعدية ضد الأسبان، ولاسيما بعد الانتصارات التي حققتها على الأسبان والبرتغاليين في معركة وادي المخازن [٥٦]، وعلى هذا الأساس بعث السلطان العثماني مراد الثالث برسالتين إلى السلطان السعدي أحمد منصور في رجب ٩٨٨هـ/ أيلول ١٥٨٠، قال في احداها: "... فلما وصل مسامعنا الشريفة ومشاعرنا الحقانية المنيفة خبر طاغية قشتاتة وأنه احتوى على سلطنة برتغالي اوكاد وأنه جعل أهلها في الأغلال والأصفاد، وأنه لكم جار وعدو مضرار حركتنا الحمية الإسلامية لإظهار الألفة الأزلية أن تتخذ عهداً وتؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب ونعلق العهد بالكعبة... فإذا تم هذا الشأن... نوجه لكم ثلاثمائة غراباً سلطانية، وجيش عز ونصر وكماة عثمانية، نستفتح بها إن شاء الله بلاد الأندلس..."[٥٧].

لم تتحقق رغبة السلطان العثماني في التحالف مع الدولة السعدية لاسترداد الأندلس، فقد تذبذبموقف السلطان أحمد المنصور من الدولة العثمانية، فما كان منها إلا أن أصدرت اوامرها إلى قلج علي بالتوجه نحو المغرب وضمه إلى سلطتها، فكان لهذا التكليف وقع في نفس قلج علي الذي لم يقطع الأمل في استرداد الأندلس، بعد توحيد الجبهة الإسلامية، إلا أن الدولة العثمانية تراجعت عن التقدم نحو المغرب بسبب انشغالها بحروبها مع الدولة الصفوية في ايران، وآل هبسبرك في وسط أوربا، فضلاً عن حماية الأماكن المقدسة في الحجاز، إلا أن ذلك لم يمنع والي الجزائر

حسن فنزيانر من تجهيز أسطول بحري سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م لمحارية الأسبان فوق أرضهم، فنزل المجاهدون في برشلونة وهاجموا جزر الكناري التي تحتلها أسبانيا ودمروا المراكز العسكرية المقاومة وأخذوا ما بها، ثم توجهوا لانقاذ المسلمين مما كانوا يتعرضون له من ظلم على يد الأسبان(٥٨)، وقد تمكن حسن فنزيانر من انقاذ اعداد كبيرة من مسلمي الأندلس وجمع سكان منطقة كالوساالأسبانية ونقلهم بأسطوله من ثغر بلنسية إلى الجزائر، واستمر هذا الوالي بالتعاون مع قلج علي ببذلان الجهود من أجل استرداد الأندلس، إذ أن الدولة العثمانية انشغلت بالحفاظ على ما بحوزتها قدر الإمكان وتركت أمر استرداد الأندلس ولاسيما أن علامات الضعف بدأت تظهر عليها بعد ذلك التاريخ.

الخاتمة

من خلال هذا البحث الذي يتناول موقف الدولة العثمانية من قضية الأندلس ومحنة المسلمين هناك يتبين أن الدولة العثمانية بذلت جهوداً كبيرة من أجل القيام بواجبها إزاء المسلمين هناك، وعلى الرغم من أنها لم تتحرك منذ حلول الكارثة بالمسلمين، إلا أن هناك ظروفاً كثيرة أحاطت بالدولة العثمانية وحالت دون نجدة مسلمي الأندلس رغم المناشدات العديدة التي بعثوها إلى الدولة العثمانية ومنذ عهد السلطان محمد الفاتح، الذي كان منشغلاً بفتح القسطنطينية وبلاد البلقان، فضلاً عن أن الدولة العثمانية لم تكن تمتلك قوة بحرية كافية لكي تصل إلى غرب البحر المتوسط، ،وأولى المساعدات التي قدمتها الدولة العثمانية كانت في عهد السلطان بايزيد الثاني الذي حاول ارسال بعض المساعدات المتمثلة بالسفن والسلاح إلى قادة البحر الذين كانوا يقاومون الأسبان هناك أمثال كمال ريس وعروج وخير الدين بربروسا أما العمليات الفعلية والجادة التي قامت بها الدولة العثمانية لمهاجمة الأسبان في الأندلس ذاتها فبدأت بعد عام ١٥٤٤ وانتهت عام ١٥٨٧م بوفاة قلج علي.

يمكن القول أنه على الرغم من جدية محاولات الدولة العثمانية وجهودها المبذولة فإنها فشلت لعدم قدرة الدولة العثمانية على توحيد الجبهة الإسلامية والوصول إلى النقطة الأقرب للأندلس وهي المغرب ويعود ذلك إلى عدم قدرة العثمانيين والسعديين الحاكمين في المغرب على مد جسور الثقة المتبادلة بينهما، لذا فإنه كلما كانت الدولة العثمانية تتوصل إلى اتفاق للعمل المشترك كانت الدولة السعدية تشكك وتلقي بنفسها إلى الأسبان فتوقف المشروع العثماني.

ثم إن الوجود الأسباني على سواحل المغرب العربي وفي بعض مدنه كان عائقاً أمام هذِه المشاريع إذ لم تكن ظهور العثمانيين مؤمنة عندما كانوا ينوون التقدم باتجاه الأندلس ومن الطبيعي أن تفشل محاولاتهم، فضلاً عن أن حروب الدولة العثمانية كانت على جبهات متعددة وقد قلل ذلك من إمكانية تحقيق هدفها وهو عودة الحكم الإسلامي إلى الأندلس.

هوامش البحث:

(١) محمد عبدالله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٩)، ص ص١٧٦-١٧٨؛ حياة ناصر الحجي، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري (الرابع والخامس عشر الميلادي) دراسة وثائقية، (الكويت، ١٩٨٠)، ص ص٢٥٥-٢٦٠.

(٢) من الجدير بالذكر أنه كانت هناك حروباً وخلافات بين المماليك والعثمانيين ولاسيما بعد لجوء (جم) اخو السلطان بايزيد والذي دخل في نزاع معه ودعمه المماليك، ينظر: عن تلك المشاكل، شمس الدين محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة، ١٩٦٤)، ص٧٠ وما بعدها؛ عبدالكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون ١٥١٦-١٧٩٨، ط٢، (دمشق، ١٩٦٨)، ص ص٤٤-٤٨؛

V.J. parry the reigns of Bayezid II and Salim I 1481-1512 in M.A., Cook (ed.) A history of the Ottoman Empire to 1730 (Cambridge, 1976), p.69.

(٣) عمر الأسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، ط٥، (مصر، ١٩٢١) ص ص ٢٤٦-٢٤٩؛ عنان، المصدر السابق، ص ص٢٠٠-٢٠٢؛ غيثاء أحمد نافع، العلاقات العثمانية- المملوكية ١٤٦٤-١٥١٧، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ص١٤٤-١٤٥.

(٤) ينظر: علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، (مصر، ١٩٥٧)، ص٣٠٢؛ عبدالقادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، (لبنان، ١٩٦٩)، ص٢٥٦؛ محمد عبده حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فليب الثاني (١٥٥٦-١٥٩٨)، (عمان، ١٩٨٢)، ص٩١.

(٥) كمال ريس: هو أحمد كمال الدين بك المعروف بـ كمال ريس وهو ابن قره مانلي علي ويعد مؤسس البحرية العثمانية، قاد معارك الدولة العثمانية في غرب البحر المتوسط وشرقه أغار على سواحل جنوب فرنسا وسردينيا وكورسيكا، للمزيد ينظر: اغناطيوس يوليانوفتشكراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الثاني، (موسكو، ١٩٥٧)، ص ص٥٨٨-٥٨٩؛ اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج١، (استانبول، ١٩٨٨)، ص ص١٩٤-١٩٩؛ محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، (دمشق، ١٩٨٩)، ص ص٣٧٧-٣٧٨.

(٦) كان مسلمي الأندلس قد أرسلوا سفارة إلى السلطان بايزيد عام ٨٩٠هـ/١٤٨٥م يعلمونه فيها بالاعتداءات الأسبانية المتزايدة عليهم وأوضحوا شكواهم برسالة وقصيدة طويلة جاء فيها:

فلو أبصرت عيناك ما صارحالنا إليه لجادت بالدموع الغزيرة حالنا

للتفاصيل عن الرسالة والقصيدة ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني، أزهار الرياض في اخيار عياض، ج١، (الرباط، ١٩٧٨)، ص ص١٠٨-١١٥؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ص٢٠٥-٢١٤.

(٧) ينظر: اوزتونا، المصدر السابق، ص ص١٩٤-١٩٧؛ العدول، المصدر السابق، ص ٢٩.

(8) J.N.d.Kelly, The Oxford Dictionary of popes, (Oxford, 1986), p.252-254.

(٩) إبراهيم علي طرخان، مصر في عهد المماليك الجراكسة، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ص٢٩٤-٢٩٦؛ محمد رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، (مصر، د.ت)، ص ص٩٨-٩٩.

(١٠) محمد محمد صالح، تاريخ أوربا من النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، (بغداد، ١٩٨١)، ص٦٠.

(١١) عروج: ولد عام ١٤٧٣ في جزيرة ميدليMidili، في قرية (ينجي قاردار) الواقعة بين سالوتيكومناستر، يطلق عليه الأوربيون وعلى أخية خير الدين لقب (بربروس) ويعني اللحية الشقراء، للمزيد عنه ينظر:

IsmilHakkiUzuncarsili, OsmanliTarih, Citt.II, Baski.5, (Ankara, 1988), S.363; TurkiyeDiyanetVakfi, Islam Ansiklopedisi, Cilt.5, (Istanbul, 1992), S.65.

أما عن نشاطه في البحر المتوسط فينظر: جاسم محمد حسن العدول، عروج ودوره في أحداث المغرب العربي وحوض البحر المتوسط، مجلة التربية والعلم، العدد٢، الموصل، ١٩٨٠، ص١٩٣ وما بعدها.

(١٢) خير الدين: اسمه الأصلي خضر في حين يرد في مصادر أخرى باسم خسرف وأبدله الأندلسيين باسم خير الدين وأطلق عليه لقب بربروسا، للمزيد عنه ينظر: أحمد حامد ومصطفى محسن، توركيه تاريخي، (استانبول، ١٩٢٦)، ص١٠٠؛

Stanford Shaw, History of the Ottoman Empire and ModerenTurky (London, 1977), p.96;

ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف أهل الزمان باخيار ملوك تونس وعهد الأمان، (تونس، ١٩٦٣)، ص٦.

(١٣) ينظر: عزيز سامح آلتر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، (بيروت، ١٩٨٩)، ص٥٩؛ سعيد أحمد برجاوي، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، (بيروت، ١٩٩٣)، ص١١٥؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (الرياض، ١٩٩٥)، ص ص١٧، ٦٧؛ محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، (بيروت، ١٩٩٥)، ص٢١٠-٢١١.

(١٤) للتفاصيل عن نشاط خير الدين في هذا المجال ينظر: أحمد جودت، تاريخ جودت، ترجمة: عبدالقادر الدنا، (بيروت، ١٣٠٨هـ)، ص١٤٨؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، (مصر، ١٣١٢ هـ)، ج١، ص٣٦١؛

Hess, Andrw.C, "The Moriscos: An Ottoman fifth Column In Sixteenth Century Spain", The American Historical Review, Vol.LXXIV, No.1, October, 1968), p.9; Creasy, Edward, S, History of The Ottoman Turkch, (Beirut, 1994), p.27.

(١٥) للتفاصيل عن أنشطته العسكرية ينظر:

SayydFayyaz Mahmud, A short History of Islam, (London, 1960), p.375;

محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، (بيروت، ١٩٦٩)، ص٣٣؛ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م (الجزائر، د.ت)، ص٢٣٠؛ شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، مراكش، ط٢، (مصر، ١٩٩٧)، ص٥٨؛

Lynch, John, Spin under The Habsburgs, Vol.1, (No.p, 1981), p.96.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ص٣٨-٣٩؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٢١-٣٣١.

(١٧) الصلابي، المصدر السابق، ص٢٧٨.

(١٨) فارس، المصدر السابق، ص٤٠.

(١٩) ينظر: المصدر نفسه ؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٢٨؛ خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية (بحوث ووثائق وقوانين)، (استانبول، ٢٠٠٠)، ص٣٢٠.

(٢٠) ينظر: فارس، المصدر السابق، ص٤٠؛ المدني، المصدر السابق، ص ص٢٣٣-٢٣٤؛ محمد المغربي، بداية الحكم المغربي للسودان الغربي، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ص٩٠-٩١؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٢١) خليل ساحلي اوغلي، "تقليد صالح باشا ولاية الجزائر غرب سنة ١٥٥٢م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد٢، المغرب، ١٩٧٤، ص١٢٩.

(٢٢) ينظر: نص المرسوم في المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢٣) المدني، المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٢٤) ساحلي أوغلي، تقليد صالح باشا ولاية الجزائر، ص١٢٩ وما بعدها؛ ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية، ص٣٢٤.

(٢٥) الأباضية: فرقة من الخوارج مركزهم الرئيس سلطنة عمان والمغرب العربي ينظر عنهم: أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، (بيروت، ١٩٦٩)؛ أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج٣، ط٧، (القاهرة، ١٩٨٤).

(٢٦) المدني، المصدر السابق، ص ص٢٣٧-٢٣٩؛ عبدالرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٣، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ص٨٦-٨٧.

(٢٧) فارس، المصدر السابق، ص٤١؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٣٩؛ جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، (الأسكندرية، ١٩٨٩)، ص٣٦٩.

(٢٨) أبو حسون الوطاسي: هو أحد أفراد الأسرة الوطاسية ابن الحسن بن علي بن محمد الشيخ الوطاسي الملقب بـ أبي حسون، هرب من مراكش بعد أن اجتاحها السعديين وذهب يلتمس مساعدة الأسبان والبرتغاليين لإعادة أسرته إلى الحكم، إلا أنهم خذلوه فالتجأ إلى العثمانيين لمساعدته، ينظر: عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٢، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص٩٧٤؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٤١.

(٢٩) ينظر: يحيى بو عزيز، موجز تاريخ الجزائر، (الجزائر، ١٩٦٥)، ص١٤١؛ عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، (المغرب، ١٩٧٧)، ص ص٨٠-٨١؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٤١.

(٣٠) فارس، المصدر السابق، ص٤١؛ يحيى، المصدر السابق، ص٣٧٠.

(٣١) بوعزيز، المصدر السابق، ص١٤١؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٤٣.

(٣٢) فارس، المصدر السابق، ص٤٢؛

Abn-Nasar., Jamil.M, History of The Maghrib, (Cambridge University Press, 1975), p.172; Hess, op.cit, p.11.

(٣٣) للتفاصيل عن التعاون الأسباني السعدي ينظر: كريم، المصدر السابق، ص ص٨٣-٨٤؛ المدني، المصدر السابق، ص ص٣٥٨-٣٦٥.

(٣٤) فارس، المصدر السابق، ص٤٢؛ الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص٨٩؛ اوزتونا، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٦.

(٣٥) الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص٩٠؛ غسان علي الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، (السعودية، ١٩٨٥)، ص٣٤٥.

(٣٦) الصلابي، المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٣٧) المدني، المصدر السابق، ص٣٧١؛ الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص٩٠.

(٣٨) ينظر: كريم، المصدر السابق، ص ص ٨٦-٨٧، ٩٠؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٧٢.

(٣٩) قلج علي: أصل الاسم باللغة التركية (كلج) وتلفظ (قلج) والتي تعني السيف، وقد أطلق عليه هذا الاسم لجهاده وأعماله البطولية، وتذكر المصادر أنه أسر من أحد البحارة الجزائريين واعتنق الإسلام وكان يتصف بالمهارة العالية في أمور البحر، في حين تشير مصادر أخرى على أنه إسلامي المولد، للمزيد عنه ينظر: فارس، المصدر السابق، ص ص٤٧-٤٨؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٩٠؛ الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٢٣.

(٤٠) فارس، المصدر السابق، ص٤٦؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٧٩؛ الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص ص٩٣، ٩٤-٩٥.

(٤١) ينظر: المدني، المصدر السابق، ص٣٩١؛

Hess, op.cit, p.112.

(٤٢) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس- الجزائر- المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠، تعريب: محمد المزالي والبشير بن سلامة، ج٢، (تونس، ١٩٨٥)، ص٣٤٦.

(٤٣) ينظر: الجمل، المصدر السابق، ص١٠٠؛ الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص ص٩٥-٩٦، الصلابي، المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٤٤) للتفاصيل ينظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص١٩؛ فارس، المصدر السابق، ص٤٩؛ المدني، المصدر السابق، ص٣٩٢؛ الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٢٥.

(٤٥) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص١٩؛ يحيى، المصدر السابق، ص٤٢٦.اشترط الأسبان على أبو العباس مقاسمته ملكه فرفض ذلك وآثر الانسحاب بعد أن تنازل عن الحكم لأخيه محمد بن الحسن آخر سلاطين الدولة الحفصية والذي وافق على شروط الأسبان، ينظر عن ذلك: أبن أبي الضياف، المصدر السابق، ص٢١؛ حسن حسني عبدالوهاب، خلاصة تاريخ تونس، (تونس، ١٩٧٦)، ص ص١٥٥-١٥٦.

(٤٦) آلتر، المصدر السابق، ص٨٥؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٤٧) المدني، المصدر السابق، ص٣٩٢؛ الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٥.

(٤٨) الغالب بالله: هو عبدالله بن محمد الشيخ الذي ولد عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م في منطقة ترودانت في المغرب، وكان حافظاً للقرآن منذ صباه فضلاً عن دراسة لبعض العلوم الأخرى وكان مستقيماً في سلوكه عادلاً في حكمه، ينظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٣، (المغرب، ١٩٧٦)، ص٢٥٣.

(٤٩) ينظر:

Mantran, R., "North Africa in Sixteenth and Seventeenth Centuries" In P.M. Holt, The Cambridge History of Islam, (Cambridge, 1970), p.243;

كريم، المصدر السابق، ص٨٧؛ محمد علي داهش الدولة العثمانية والمغرب، إشكالية الصراع والتحالف، ط٢، (الموصل، ٢٠٠٤)، ص٦٦.

(٥٠) ينظر: محمد قشتيلو، محنة المورسيكوس في أسبانيا، (تطوان، ١٩٨٠)، ص٤٤؛

Lynch, op.cit, p.228;

يحيى، المصدر السابق، ص٤٢٥.

(٥١) المدني، المصدر السابق، ص٣٩٣؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٥٢) المدني، المصدر السابق، ص٣٩٣؛ إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون ١٥١٠-١٩٤٧، (الإسكندرية، ١٩٨٠)، ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٥٣) المدني، المصدر السابق، ص٣٩٣؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٥٤) سميت نسبة إلى ميناء ليبانتو الواقع على الساحل الغربي لليونان في خليج كورنثيا، وضم التحالف الأوربي أسطول الأسبان والبنادقة والبابوية والمدن الإيطالية الأخرى والألمانية، وانتهت المعركة بخسارة الأسطول العثماني أمام هذا التحالف، ولا تزال أوربا تحتفل بهذا اليوم في عيد تسميه (عيد المسبحة)، عن المعركة ينظر:

Milner, REV.T, The Turkish Empire, (London, 1960), p.129; Rhea Marsh Smith, Spain Amodern History, (Michigan, 1965), p.p166-167;

المدني، المصدر السابق، ص ص٣٩٨-٣٩٩؛ محمد علي الغثيث، الغرب والشرق الأوسط من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، (القاهرة، د.ت)، ص٩١.

(٥٥) المدني، المصدر السابق، ص ص٣٩٤-٣٩٥.

(٥٦) معركة وادي المخازن: وهي من المعارك العظيمة التي خاضتها الدولة السعدية في عصر السلطان عبدالملك وأخوه أحمد المنصور ضد الأسبان والبرتغاليين، وسميت أيضاً معركة القصر الكبير، ووقعت المعركة في ٣٠ جمادي الثانية ٩٨٦هـ/١٤ آب ١٥٧٨م. للتفاصيل ينظر: أحمد خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، جـ٥، (الدار البيضاء، ١٩٥٤)، ص ص٦١-٦٤؛ محمد عبدالله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ص٣٠٨-٣٠٩؛ كريم، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٥٧) فارس، المصدر السابق، ص٥٢؛ الصلابي، المصدر السابق، ص ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥٨) ينظر: الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص١٠١؛ الصلابي، المصدر السابق، ص ص٣٢٥-٣٢٦.

(٥٩) الجيلالي، المصدر السابق، ج٣، ص ص١٠٢-١٠٣.

Abstract

Thepresent research deals with the position of the Ottoman Empire towards Andalusia, and her continuous attempts not only to save the Muslims there, but recovery of Andalusia. It could be argued that the position of the OttomanStatetowards Andalusia was on two types. The first type is to provide aid to displaced people of Andalusia, as well as military operations against the Spaniards and Portuguese vessels

that had been displaced from Andalusia and repel attacks from the coast in the Islamic Maghreb. This continued up until the year 1544. That date is the appointment of Hassan Khair Al-Din on the mandate of Algeria. Theresearcherstackled this subjectin numerous studies. This research is confined to theperiodbetween1544-1587. This represents the second type of state aid Andalusia. This aims at uniting the Islamic Front against the Spanish and annexing Morocco. We also add the developped plans to restore Andalusia. Moreover, the most important attempts carried out during the reign of Qlaih Ali Algeria.